مجلة أبحاث
ISSN: 0834-2170
EISSN2661-734X
المجلد 7 / العـــــدد: 1 (2022)، ص 805– 815

نقد الشعر بالشعر لدى شعراء العصر العباسي

–نماذج من شعر أبي تمام–

Criticism of poetry by poetry among the poets of the Abbasid era

-Examples of Abi Tammam's poetry-

ط د. بوهند محمد صديق* جامعة ابن خلدون، تيارت، mohamedsaddik.bouhend@univ–tiaret.dz

تاريخ الاستلام: 1 /2022/2 تاريخ القبول: 26 /2022/4 تاريخ النشر: 2022/6/2

ملخص:

اتخذ المشتغلون على النص الشعري قديما وسائل مختلفة لتحقيق غايتهم (النقد الأدبي)، فنجدهم مثلا اتخذوا من الأسواق والمجـــالس الأدبيـــة والمؤلفات... الخ وسائل لممارسة نقد الشعر خاصة، ومن هذه الوسائل نجد أيضا الشعر الذي جعل منه بعض الشعراء وسيلة لإصدار أحكامهم النقدية حول شعر غيرهم، وإن اختلف القدامى في الأخذ بنقد الشعراء لشعر غيرهم، وهذا ما تروم الدراسة عرضه من خلال تقصـــي آراء بعض أعلام نقد الشعر في نقد الشعراء، ثم عرض نماذج من نقد الشعر بالشعر ومفهومه، ثم تحليل نماذج من شعر أبي تمام تضمّنت أحكامـــا نقدية وقولا في قضايا نقدية، وقد رمنا في ذلك تبيان الدور الذي لعبه الشعر في النقد الأدبي –نقد الشعر خاصة– في العصر العباسي.

الكلمات المفتاحية: نقد الشعر، أبو تمام، نقد الشعراء، العصر العباسي

Abstract:

Those who worked on the poetic text in the past took various means to achieve their goal (literary criticism), so we find them, for example, they took from markets, literary councils, literature...etc., means to practice poetry criticism in particular, and among these means we also find poetry that some poets made as a means to issue their critical judgments about poetry Others, although the ancients differed in taking the criticism of poets for the poetry of others, and this is what the study intends to present by investigating the opinions of some prominent figures of poetry criticism in the criticism of poets, then presenting models of criticism of poetry by poetry and its concept, then analyzing models from Abi Tammam's poetry that included critical judgments and sayings in Critical issues, and in this we aimed to show the role that poetry played in literary criticism - criticism of poetry in particular - in the Abbasid era..

Keywords: criticism of poetry, Abu Tammam, criticism of poets, Abbasid era

* بوهند محمد صديق

1. مقدمة:

يلاحظ الدارس للتراث النقدي العربي الذي وصلنا منذ الجاهلية أن الملاحظات النقدية الأولى إنما كانت تصدر من أفواه الشعراء، فهُم أهل الشعر والأعلم بما يقتضيه القول الشعري، وهُم من كان يُحْتَكمُ إليهم إذا ما تنازع شخصان أو أكثر في تفضيل شعر شاعر على شعر آخر، ومن ذلك ما كان من الاحتكام إلى النابغة في تفضيل الشعراء في سوق عكاظ في كل موسم، وأيضا ما يستنتجُ من استشارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحسان بن ثابت رضي الله عنه في شعر الحطيئة حين هجا الزبرقان، وعديد من المرويات تشير إلى احتكام العامة إلى الشعراء في أمر الشعر.

ومما سبق تأتي دراستنا حول الأحكام النقدية التي صدرت عن الشعراء، وقد خصصنا بالتحليل الأحكام النقدية التي صدرت عن الشعراء شعرا وليس نثرا وقد اتخذنا من شعر أبي تمام نماذج للتحليل، وذلك في محاولة للإجابة على بعض الإشكاليات المتمثلة في: هل كان في التراث النقدي العربي نقد مختص صدر عن الشعراء؟، ما هي القضايا النقدية التي خاض فيها الشعراء؟ وكيف ضمَّن الشعراء أحكامهم النقدية في الشعر؟.

سنتطرق في البداية إلى نقد الشعراء والآراء المتباينة في قبوله ورفضه، ثم نقد الشعر بالشعر في العصر العباسي، ثم نفصِّل في الحديث عن نماذج من قضايا نقدية متضمنة في شعر أبي تمام، ونختم بخاتمة فيها أهم الاستنتاجات.

2. النقد لدى الشعراء بين المؤيدين والمعارضين

تعدد المشتغلون على النص الشعري في التراث النقدي العربي، وهذا تبعا لتعدد الغايات المرجُوة من ممارسة النشاط النقدي، فنجد اللغويين الذين كانت غايتهم بناء القاعدة النحوية أو تصحيح الأخطاء في القصيدة، وبيئة المتكلمين الذين كانت غايتهم تأويل النص الشعري لإثبات صحة فهمهم لآيات القرآن الكريم، وبيئة الرواة والشعراء الذين كانت غايتهم تمييز الجيد من الرديء في الشعر، وكذلك بيئة تتشكل من ثلة من العلماء برعوا في ممارسة النقد الأدبي والتأليف فيه.

طرح هذا التعدد إشكالية البحث عن الشخص المؤهل لإصدار الحكم النقدي، والذي يؤخذ برأيه في تمييز النص الشعري، لأن " العلم بالشعر قد خُصَّ بأن يدعيه كل أحد، وأن يتعاطاه من ليس من أهله" (الآمدي، د ت، ج2، ص411) ويفاضل فيه كل عارف بلغته، إلا أن "للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصَناعات" (الجمحي، د ت، ج 1 ص5) وهذا العلم هو ما يمكِّن العالم بالشعر من التمييز بين حسنه ومرذوله، والموازنة بين معانيه، وتفضيل بعضه على بعض.

واختلف في من هم أهل العلم بالشعر؟ بين أهل اللغة أو الرواة أم الشعراء، و"إن كانت حركة النقد حول الشعر، وعلى أيدي الشعراء بالذات هي أسبق مراحل النشاط النقدي في التراث العربي" (راضي، 2007 ص 78) إلا أن النقاد القدامى اختلفوا في أحقية الشاعر بنقد شعر غيره، إذ تدخل الذاتية والحقد خلال إصدار الحكم النقدي، فجاءت مواقفهم متباينة في ذلك.

رأى الشعراء أنهم الأجدر بممارسة النشاط النقدي، دون غيرهم من اللغويين، خصوصا لما لاقاه شعر المحدثين في العصر العباسي من استهجان من طرف أهل اللغة، فهذا بشار بن برد يرى بأن النقد الأدبي "ليس من عمل أولئك القوم، إنما يعرف الشعر من يضطر إلى القول مثله" (الباقلاني، 1971 ص117) من الشعراء فلإصدار حكم نقدي حول شعر شاعر وجب أولا أن يكون صاحب الحكم شاعرا لكي يكون عارفا بالشعر وضروبه.

وكذلك البحتري رأى نفس رأي بشار، فبعد أن احْتُجَ عليه بحكم أبي العباس ثعلب في تفضيل أبي نواس على مسلم بن الوليد أيهما أشعر، قال:" ليس هذا من عمل ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله، إنما يعلم ذلك من دفع في مسلك

الشعر إلى مضايقه، وانتهى إلى ضروراته" (الباقلاني، 1971ص 117) وهذه الأخيرة من مكابدات الصناعة الشعرية التي لا يعرفها إلا الشعراء، وهي ما جعله الشاعران السابقان شرطا لمعرفة الشعر، واكتساب الملكة التي تمكن من إصدار الحكم النقدي حوله.

وللمتنبي قصة مشابهة للسابقة مع سيف الدولة، إذ خطّأه في بعض شعره واحتج عليه بنقد الأوائل لبيتي امرئ القيس، فقال المتنبي "إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا كان أعلم بالشعر منه، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك، لأن البزاز يعرف جملته، والحائك يعرف جملته وتفاريقه" (الثعالبي، 1983ص 44) وبهذا قابل المتنبي بين الشاعر الحائك الذي يصوغ النص الشعري، وجعله أدرى به ممن يتداولونه قراءة ونقدا، فإن كان غير الشاعر يتلقى النص جاهزا مكتملا فإن الشاعر يعرف خلفيات نضوجه ونظمه.

يفضل الجاحظ الشعراء لممارسة النقد دون غيرهم من النحاة والرواة –ممن قابلهم وجلس إليهم– لاختلاف غاياتهم من الشعر، ووجد أن "البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم، وعلى ألسنة حذاق الشعراء أظهر" (الجاحظ، 1998ص24) لأن فحولة الشاعر تمكنه من النفوذ إلى لبِّ النص الشعري ومعرفة درره.

ويؤيد أبو بكر الصولي كلام الجاحظ، إذ يرى " أن نقد الشعر، والعلم بترتيب الكلام... إنما هو لمن صحّتْ طباعهم، ونفذت قرائحهم، وتنبهت فطنهم، ورضوا الكلام، وقالوا الشعر وعرفوه وطرقوا المعاني وقاسوا" (الصولي، 2010ص 39-40) فالشاعر الذي خاض تجربة قول الشعر، وعانى في تخير اللفظ، أعلم بالشعر من غيره.

وابن شهيد الأندلسي يقف في صف الشعراء النقاد إذ يسرد لنا حواره مع الإوزة الأدبية "قالت: أيها الغار المغرور كيف تحكُمُ في الفروع وأنت لا تُحكِمُ الأصول؟ ما الذي تحسن؟ قلت: ارتجال الشعر، واقتضاب خطبة، على حكم المقترع والنصبة" (الأندلسي، 1996 ص 151) وإنما أراد بالأصول معرفة النحو والغريب الذي هو من عمل اللغويين والرواة اللذين اشتغلوا على النص الشعري كذلك، وأصدروا أحكامهم حوله، وابن الشهيد يرى أن ارتجال الشعر يكفي للحكم عليه ونقده.

ويؤيد أبو الحسن محمد المغربي (راوية المتنبي) الآراء السابقة إذ يقول: " إنما يحكم في الشعر الشعراء لا المؤدبة، ويمثل هذا جرت سنة العرب في القديم، كانت تضرب للنابغة خيمة من أدم بسوق عكاظ، وتأتي الشعراء من سائر الآفاق فتعرض أشعارها عليه، فيحكم لمن أجاد" (الحموي، 1993ص893) وبهذا العُرف احتجَّ عندما استُشهِد عليه بحكم المؤدب أبي سعيد السيرافي، فنفى أن يكون الحكم في الشعر للمؤدبة.

ويذكر الآمدي رأيا مُعارضا لنقد الشعراء لشعر غيرهم سمعه من أصحاب أبي تمام، "فلا يقبل قول شاعرٍ في شاعرٍ، لأن دعبلا كان ينشأ أبا تمام ويحسده، ودعبلا كان شديد التعصب عليه" (الآمدي، د ت ص22) وهذا ما قد يخرج نقد الشعراء من دائرة الموضوعية، فيصبح أحكاما ذاتية غير مؤسسة، نابغة من الأهواء.

أما أحمد المرزوقي فيقف موقفا وسطا، إذ يقول" ولو أن نقد الشعر كان يدركُ بقولهِ لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس، ويكشف هذا أنه قد يميز الشعر من لا يقوله" (المرزوقي، 2003)

فيقلل من النقاد غير الشعراء دون أن يستثنيهم من العملية النقدية، وكذلك يفعل مع الشعراء، فلا تكون العلة في نقد الشعر بحسبه في أن يكون الناقد شاعرا أولا، بل في قدرته على تمييز الشعر.

والشعراء أعلم بالعملية الإبداعية من غيرهم، ذلك أن من خبر قول الشعر ونظمه ليس كمن تلقاه من غير تجربة ومعرفة لحدوده، والشاعرية في الناقد ليست ضرورة، كما أن الذاتية والتحاسد قد يدخل أيضا على الناقد غير الشاعر.

وإن كان قول الشعر يستند بالأساس إلى جوانب وجدانية بعكس النقد الذي يستند إلى الجانب العقلي، إلا أن الرؤية الجمالية والحسية عند الشعراء أقوى، وبها ينفذون إلى الجوانب الجمالية والفنية في الشعر الذي يتلقونه، بعيدا عن القواعد اللغوية والمعايير النقدية.

3. نقد الشعر بالشعر في العصر العباسي:

يعد النثر لغة النقد وهو الذي يُعبَّر به عن أيِّ موقف وبه يصدر الحكم النقدي من طرف النقاد، والشعر "بطبيعته الفنية يحول دون التعبير عن الفكر النقدي، فهو فن يعبر عن خلجات النفس الذاتية في أحوالها المختلفة، مما يجعل ممارسة النقد من خلاله مغامرة غير مضمونة، قد تنحدر به إلى النثرية، فلا يعود مستواه يرقى إلى حقيقة الشعر بوصفه فنا إبداعيا" (العضيبي، 2013ص 59) ذلك أن الشعر نشاط وجداني يستلهم العاطفة بعكس النشاط النقدي والذي هو نشاط عقلي في أغلبه يستند إلى الفكر.

غير أن الشعراء العرب حاولوا أن يصوغوا آراءهم النقدية في قوالب شعرية، أي أحكام نقدية منظومة، فنجد " بعض النصوص الشعرية في تراثنا العربي القديم، حاول خلالها الشعراء العرب تقديم بعض الآراء والأحكام النقدية التي عَنَت لهم" (العضيبي، 2013ص 59) وإن كانت في العصر العباسي لا ترقى لأن تكون قصائد مطولة كالتي نظمها الصلتان العبدي في العصر الأموي، وهي قصيدة وازن فيها بين شعر جرير والفرزدق (القالي، 1976).

والمقطوعات والقصائد التي ينظمها الشعراء ويضمنونها أحكامهم النقدية لا تبعد كثيرا عن المعايير المتعارف عليها في الشعر، فهي تحافظ على الايقاع ووحدة القافية والروي إلى جانب شيء من الأساليب البلاغية، بعكس ما وُضع في المنظومات التعليمية، كمنظومات علم النحو مثل ألفية ابن مالك...الخ، فحديثنا هنا عن شعر بالدرجة الأولى وتضمن حكما نقديا أو رؤية أدبية، ويحافظ الشعر الذي يتضمن أحكاما نقدية على عناصره البلاغية كالتشبيه والمجاز والاستعارة..الخ.

ومن القصائد التي تضمنت التنظير للشعر والتعريف بأغراضه وأساليبه وأحكاما نقدية، هي التي نظمها أبو العباس الناشىء، والتي مطلعها (القيرواني، 2000ص 769):

لَعَنَ اللهُ صَنعَةَ الشعرِ، ماذَا *** مِن صُنوفِ الجُهالِ فيهاَ لَقِيناَ؟

وقصيدة الناشئ الأكبر تتألف من اثنين وعشرين بيتا، يُنظِّرُ فيها لصَنعة الشعر وليست تطبيقية كقصيدة الصلتان (التي أشرت إليها سابقا)، وإن كان المقام لا يتسع لإيرادها كاملة، ونكتفي بمقطوعة منها يقول فيها:

فَإذَا مَا مَدَحْتَ بِالشِّعرِ حُراً *** رُمتَ فِيهِ مَذاهِبَ المُشْبِهِينَا

فَجَعَلتَ النَّسيبَ سَهْلاً قَرِيباً *** وجَعَلْتَ المدِيحَ صِدْقاً مُبِيناَ

وتَنَكَّبْتَ مَا يُهَجِّنُ فِي السَّمْـــــــ *** ـــــعِ وإِنْ كان لَفْظُهُ موْزُونَا (القيرواني، 2000ص 770)

فالناشئ يبيِّنُ هنا أساليب متعددة بتعدد الأغراض الشعرية، الواجب على من يريد قول الشعر في غرض ما اتباعها، وفي المثال السابق غرض المدح، الذي يجب على المادح أن يتخذ من التشبيه آلته في القول، ويُسهِل في نسيبه، ويتحرى الصدق في مدحه، ويبتعد عن الألفاظ المنفرة في السمع ولو كانت ضرورة لاستقامة الوزن، وهذا رأي الشاعر العالم بالشعر وأغراضه وما يقتضية كل غرض من أساليب بلاغية.

ومن الأساليب البلاغية في الكلام عامة وفي الشعر خاصة الإيجاز، وهذا ما يبينه عبد الله بن المعتز ويشير إليه في قوله:

إِنَّ ذَا الشِعرُ فيهِ ضِيْقُ النِـــــــطاقِ *** ليسَ مِثْلَ الكَلامِ مَن شاءَ قَالاَ

يُكْتَفَى فِيهِ بِالخَفيِّ مِنَ الوَحْـــ ***ـــيِ ويَحْتـــــالُ قَائِلُوه احتـــــيَـــالاَ (السامرائي، 1978ص 351)

فالشعر عنده يكتفي بالإشارة دون الإطناب والإطالة في الكلام، ونصادف شاعرا ناقدا أيضا يتفق معه في الرأي، وهو البحتري إذ يقول:

وَالشِّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِي إِشارَتُهُ *** وَلَيْسَ بِالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطبُه (الآمدي، د ت، ص424)

فالشعر عند الشاعريْن الناقديْن السابقيْن، عبد الله بن المعتز والبحتري تلميح دون تصريح، واقتضاب دون تفصيل وتمثيل كما في الخطب، وذلك تعبير عن مقتضى الحال بأقل قدر من الكلام.

ولا يمكن أن نحصر نقد الشعر بالشعر في ما يُنظمُ من شعرٍ ويتضَمنُ أحكاما نقدية فقط، بل يتعداه إلى التيارات والمذاهب الشعرية الكبرى التي تُستَحدثُ في عصرٍ من العصور الأدبية، فأي كتابة في نظري تمثل نقدا، فإذا كتب الشاعر على منوال القدامى الذين سبقوه فهو بذلك قد نَقَدَ شعرهم (ضِمنيا) وحكم عليه بالجودة ورأى فيه الكمال الواجبِ اتباعه، وكل حركة تجديدية في عصر ما تكون قد فعلت الشيء نفسه مع شعر السابقين لكنها حكمت عليه بالضعف، وتجاوزته إلى نموذج شعري جديد ترى فيه النموذج الواجب احتذاؤه، ويُشرع في التنظير له شعرا.

وإذا عدنا إلى العصر العباسي نجدُ الكثير من النماذج التي تمثل هذا النوع الذي أراه يدخل ضمن النقد، إذ تعايش في هذا العصر مذهبان أدبيان، يمثل البحتري وهو متمسك بعمود الشعر (تيار المقلدين)، وأبو تمام ومن كتبوا على منواله تيار البديع أو (المجددين)، إضافة إلى ما أحدثه أبو نواس في استبداله المقدمة الطللية بالمقدمة الخمرية، وأبو نواس لم يَنظِّر كثيرا للمقدمة الخمرية بل راح يبتدئ بها قصائده، حسب ما وافق نقده للمقدمة الشعرية والابتداءات عموما، وفي ذلك رؤية أدبية نقدية وإن لم تكن بقواعدَ واتفاقٍ مسبق، بل تأتي عفوية.

4. نقد الشعر عند أبي تمام:

وإذا عدنا إلى ديوان أبي تمام نجد أيضا أبياتا ضَمَّنها الشاعر وصفا لقصائده، وكلاما حول الشعر في عمومه، وفي الغالب لا تخلو قصيدة من قصائد أبي تمام –الطوال خصوصا– من أبيات يوردها ويذكر فيها وصفا لقصائده أو حكما نقديا أو كلاما عن الشعر.

اخترنا من ديوان أبي تمام أبياتًا ومقطوعات تتضمّنُ وصفا للقصيدة وأحكاما حول الشعر عامة، وهذا بحسب درجة تعلق المقطوعة بالنقد وخلوِّها من المبالغة حتى لا نخرج عن دائرة النقد إلى دائرة الفخر، ولا نجد في الديوان كذلك أبياتا صريحة في النقد بل إن ما يوجد فيه هو رؤية فنية للشعر لها ما يعضُدُها في النقد العربي القديم.

1.4 في صنعة الشعر

بداية يصف أبو تمام صَنعته في الشعر، فمن الشعر المطبوع والمصنوع وأبو تمام كان يطلب الصعنة في شعره " ويذهب إلى حزونة اللفظ، وما يملأ الأسماع منه، مع التصنيع المحكم طوعاً وكُرهاً، يأتي للأشياء من بعد، ويطلبها بكُلفَة ويأخذها بقوة" (القيرواني، 2000ص 130) وهذا بحسب مقدرته الفنية ورؤيته الإبداعية كما سنرى.

يقول أبو تمام:

سأَجْهدُ حتى أُبلِغَ الشعر شأْوَهُ *** وإِنْ كان لي طَوْعاً ولستُ بجاهد (عطية، 2003ص 114)

فهو يرى أن بلوغ غايات الشعر القصوى (شأوه) يستلزم أن يُجهد الشاعر نفسه بالصنعة حتى يبلغ مُراده، وهذا ما حذا ببعض من نَظَرَ إلى شعر أبي تمام إلى القول: "إنما حبيب كالقاضي العدل، يضع اللفظة موضعها، ويعطي المعنى حقه، بعد طول النظر والبحث عن البيِّنة، أو كالفقيه الوَرِع يتحرّى في كلامه خوفا على دينه" (القيرواني، 2000ص 133) وبحسب قوله–هذا لا يُكَلِّفُ الشاعر لأنه يملك مقدرة لغوية وهي التي تجعل الشعر يأتيه طوعا –يذكرها هو في البيت السابق.

ويقول أيضا في قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمدا بن يوسف:

أَنَا منْ كَسَاكَ مَحَبَّةً لاَ حُلَّةً *** حِبَرَ القَصَائِدِ فُوِّفَتْ تَفْوِيفا

مَتَنَخِّلٌ حُـــــلاَّك نظمُ بَدَائِعٍ *** صَارَتْ لآذان الملوكِ شُنُوفا (عطية، 2003ص 195-196)

الحِبَرَ: جمع وهي رداء يلبس للتزيين، فوَّف:الثوب نقشه، تنخّل الشيء صفاه واختاره، الشنوف الأقراط

فهو يبيِّن أن سِرّ تفوق مدحه حتى صار قرطا تتزين به آذان الملوك في أنه صادق في محبته لممدوحه، وأنه في تحكيكه للقصائد كمن يخيط ثياب الزينة وينقشها وهو عمل يتطلب جهدا وتركيزا، وهذا التصوير والتمثيل بالخياطة يتجلى كذلك في وصيته للبحتري، إذ يقول فيها: " وكُن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام، وإذا عارضك الضجرُ فأرِحْ نفسك" (القيرواني، 2000 ص 115) وهذا من باب عمله في المدح.

ويشير أبو تمام أيضا إلى مثيرات الابداع لديه، حيث يقول:

خذها ابْنة الفكرِ المهذَّب في الدجى *** والليل أسود الرقعة رقعة الجلباب

بكـــرا تورَّثُ في الحـــيـــاة وتنتقي *** في الســـلم وهي كثيرة الأسلاب (عطية، 2003ص 29)

في هذه المقطوعة يبيِّن عدة أمور نقدية حول شعره ورؤيته له، فهو إذ يمدح القصيدة لأنها مهذبة ومنقحة وأنه يعمل فيها فكره فهي ليست وليدة البديهة والارتجال، وهذا ليس ادعاءً منه إذ عرف عنه أنه "سلك في البديع مذهبه فتحير فيه، وأغرق في طلب الطِّباق والتجنيس والاستعارات، وإسرافه في التماس هذه الأبواب وتوشيح شعره بها، حتى صار كثيرٌ مما أتى به من المعاني لا يُعرف ولا يُعلم غرضه فيها إلا بعد الكَدِّ والفكر وطول التأمل، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظن والحدس" (الآمدي، د ت ص139) وهذا رأي نقدي في الغموض والإغراق في المعاني لم يقدمه أبو تمام تنظيرا نثريا بل وضعه في شعره بحسب رؤيته للشعر عامة.

ويخبرنا أبو تمام أيضا أن إبداعه يكون في الليل (الدجى)، فهو يتخيرُ الليل لأن " العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السَّحَر" (القيرواني، 2000ص114) وهي من طقوس الكتابة الشعرية ومثيرات الابداع التي يخبرنا بها أبو تمام، وهي أنسب الأوقات لاجتلاب المعاني الشعرية بحسبه.

وفي قوله (بكرا) فهو يصف معانيه أنها جديدة لم يصل إليها أحد قبله، وهو أول من فتقها وابتكرها.

ويقول في وصف قصيدته:

إذا ما شعر قومٍ كانَ لَيْلاً *** تَبَلَّجَتا كَمَا انْشَقَّ النّهارُ

وَإنْ كنتْ قصائدُهُم جدوباً *** تَلَوَّنَتَا كما ازْدوَج البَهارُ (عطية، 2003ص 134)

بَجُلَ :عظم قدره وسِنُّه، جَدْب ثقافيّ وفكريّ: عُقم وافتقار إلى الخَلْقِ والإبداع، البُهارُ الخُطَّاف الذي يطير

وبهذا يؤكد مقولته السابقة بأن نظم القصيدة ليلا أفضل، وأن القصائد التي تكون في النهار تكون كالطير الذي لا يستقر على لون.

ويقول في موضع آخر:

خُذْهَا مُثَقَفَةَ القَوَافِي رَبُّها *** لِسَوَابِغِ النَعْماءِ غَيْرُ كَنُودِ

حَذَّاءَ تَملأُ كُلَّ أُذُنٍ حِكْمَةً *** وَبَــلاغَةً وَتُدِرُّ كُلَّ وريدِ (عطية، 2003ص 85)

ثقَّف الشيءَ: أقام المُعوَجَّ منه وسوّاه /سَبَغتِ النِّعْمَةُ: تمَّت واتّسَعَت /الكَنُودُ : يَذكُرُ المصيباتِ وينسى النِّعم

وفي البيتين السابقين رأى أبو تمام أن القصيدة إذا ثُقِّفتْ وهُذِبت اتسعت جمالياتها واكتملت شِعريتها، فهي مملوءة بالحكمة والبلاغة وتملأُ العروق دما، وهذا قمة الشعرية عند أبي تمام.

ويقول أيضا في قصيدة له:

بالشِّعْرِ طُولٌ إذّا اصْطَكّتْ قَصائِدُهُ *** في مَعْشَرٍ وَبِهِ عَن مَعْشَرٍ قِصَرُ (عطية، 2003ص 142)

2.4 غاية الشعر

الشعر ديوان العرب ومفخرتهم بين الأمم وقد اتخذوه أثرا "يحفظون به المكارم والمناسب ويقيدون به الأيام والمناقب ويخلدون به معالم الثَّناء ويُبقون به مواسم الهجاء ويُضمِّنونه ذِكرَ وقائعهم في أعدائهم ويستودعونه حِفظَ صنائعهم إلى أوليائهم" (التبريزي، 2000ص 10) فهو يوثق حضارتهم وتاريخهم، وهذه قضية قديمة وحديثة في غاية الشعر ومقصده، وتدخل أيضا في نظرية الشعر (نظرية الأدب).

يُدرك أبو تمام فضل الشعر ودوره في تربية النشء والسُمو بالأخلاق الفاضلة، ويرى أن الشعر عليه أن يحتوي على خِلالٍ حميدة، إذ يقول:

وَلَوْلا خِلالٌ سَنَّها الشعرُ ما درَى *** بُغاةُ النَدَى مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى المَكارِمُ (عطية، 2003ص 270)

بغاة الندى: طالبوا الجود

وقد يبالغ في هذا حين يرى أن الشعر هو من وضع الأخلاق، وبهذا فهو يرفع الشاعر أولا لأنه عرف الأخلاق قبل أن يسُنها لقومه، إلا أن هذه عادة الشعراء في المبالغة –خصوصا عند أبي تمام– فقد بيّن رؤيته لغاية الشعر، والقضية التي أشار إليها أبو تمام في البيت السابق هي قضية قديمة وحديثة تدور غاية الشعر، أهي تربوية نفعية وخُلقية؟ أم أن الشعر غايته لذاته؟ وموقفه هو أنْ يكون الشعر إلى جانب غايته الفنية له غاية تربوية وأخلاقية.

ويقول أيضا:

ولَمْ أَرَ كالمَعْرُوفِ تُدعَى حُقُوقُهُ *** مغَارمَ في الأقوامِ وهيَ مَغَانِمُ
ولا كَالعُلَى مَا لَمْ يُرَ الشِعْرُ بَينها *** فَكالأرْضِ غفلاً لَيْسَ فيها معالمُ
وَمَا هُوَ إلاّ القَوْلُ يسري فَيَغْتَدِي *** لَهُ غُرَرٌ في أَوجُهٍ وَمَواسِمُ
يرَى حِكْمَةً ما فِيه وهو فكَاهةٌ *** وَيَقْضِي بِما يَقضِي بهِ وهو ظالمُ (عطية، 2003ص 269)

فهو يرى أن العُلى لا يكون إلا إذا قُرِنَ بالشعر، والشعر كلام يسري بين الناس في الصباح وهو المُقدمُ في المواسم والمُعظمُ، وهو الذي يتضمن الحكمة وإن كان غَرضه التسلية، فيقدم معرفة ومتعة لمتداوليه.

3.4 استعمال الوحشي من الكلام

الوحشي من الألفاظ ما نَفَر عنه السمع و لم تتناسق حروفه وإذا كانت اللفظة مستغربة وأُتِيَ بها مع ما ينافرها كذلك وهو الحوشي أيضا، وهو العِيُّ الأكبر، وكان أبو تمام يأتي بالوحشِي الخشن كثيرا ويتكلف (القيرواني، 2000ص 265) وهو عيبٌ ومنقصَةٌ في الشعر على اتفاق النقاد، غير أن أبا تمام كانت له نظرة أخرى للوحشي في الشعر، عبر عن تلك النظرة في شعره.

يقول أيضا في وصف قصيدته:

تِلْكَ القَوَافِي قَدْ أَتَيْنَكَ نُزْعاً *** تَتَجَشَّمُ التَهْجيرَ والتَغْلِيساَ
منْ كلِ شَاردةٍ تُغادِرُ بَعْدَهاَ *** حظَّ الرِجالِ مِنَ القَرِيضِ خسِيساَ (عطية، 2003ص 166)

النزع: جمع نازع وهو الغريب، وتتجشم: تتكلّف على شقة، التهجير: السير في منتصف النهار، التغليس: السير في الظلمة، اللبيس: الذي أُكثِر لبسه فأخلق، الرصين: المحكم الثابت.

فهو يصف قصيدته بأنها تحتوي على الغريب وتتكلّف في الحرِّ والظلمةِ، وهذا ليس غريبا على شعر أبي تمام، وبهذا نجد أبا تمام منصفا حتى في نقده لشعره، ففي شعره " كان أبو تمام يأتي بالوحشي الخشن كثيرا ويتكلّف" (القيرواني، 2000ص 266) ، ولعله رأى في ذلك ميزة تزيد في جودة الشعر فلا شك أنه لم يفخر بخصيصة في شعره ويرى أنها تُرذِله، والغريب أن نجده في بيت آخر من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب بالبلاغة، يقول:

لَمْ يَتَبِّعْ شُنُعَ اللُغاتِ ولا مَشَى *** رَسْفَ المُقَيدِ في طَرِيق المنطِقِ (القيرواني، 2000ص266)

فهو حين يتحدث عن شعره يرى في الوحشي شعره مبلغَ القصيد، لكن عندما يتعرضُ لنصوص غيره يرى أن البلاغة في ترك الوحشي الغريب.

ويقول أيضا في وصف شعره بالغريب:

غَرِيبةٌ تُؤْنِسُ الآدَابُ وِحشتَهَا *** فَمَا تَحِلُّ على قَومٍ فَترتَحِلُ (عطية، 2003ص 217)

أي أن قصيدة لا تلبث عند قومٍ لأنهم لا يفهمونها لغرابة معانيها، وهذا ما يدل عليه قوله في بيت آخر له إذ يقول:

خُذْهَا مُغَرَبَةً في الأَرْضِ آنِسَةً *** بِكُلِ فَهْمٍ غَرِيبٍ حِيْنَ تَغْتَرِبُ (عطية، 2003ص 53)

يصف قصيدته بالغريبة في الأرض التي لا يفهمها جُل الناس لكنها إذا توافقت مع فهمٍ غريب فإنها تأنسُ له ويأنس لها، فعلى من يريد أن يفهم قصائد أبي تمام أن يمتلك هو الفهم الذي يناسب تلك قصائد

4.4 جِدَّة المعاني وتوليدها

ما يُميز شعر المحدثين هو إغراقهم في توليد المعاني واستحداثها وبهذا سموا المولدين، وهم رأوا في المعاني المولّدة فضلا وزيادة في شعرية شعرهم، وأبو تمام وهو من المولدين نجده في ديوانه كثيرا ما يُفضل المعاني الجديدة، ويتجلى لنا ذلك في عدة أبيات من شعره التي تتضمن معاني جديدة، إضافة إلى ما جاء في شعره من ذِكرٍ لسبقه إلى المعاني وتوليدها،

يقول:

بِكْراً تُوَرَّثُ في الحَياةِ وَتَنْثَني *** في السِّلمِ وهيَ كَثِيرَةُ الأسلاب (عطية، 2003 ص113)

ويقول أيضا:

إِلَيْـــــكَ بِهاَ عَذْرَاءَ زُفَّتْ كَأَنَها *** عَرُوسٌ عَلَيْهَا حُلِيُهاَ يَتَكَسَّرُ (عطية، 2003 ص 150)

وفي موضعٍ آخر يقول:

بِكْرٌ إِذا جَرَدْتَ في حُسْـــــنِها *** فِكْرَكَ دَلَّـــتْكَ على الصَانِعِ (عطية، 2003 ص 186)

يتضح من الأبيات السابقة والصفات التي وصف بها أبو تمام قصائده (بكرٌ، تُوّرثُ، عذراء، عروسٌ عليها حُلِيُها) كلها صفات تدل على رؤيته للحُسن الذي يكتسي القصيدة إذا وُشِّحَت بمعاني جديدة.

ويقول أيضا:

وجَدِيدةِ المَعْنَى إِذَا مَعْنَى التِي *** تَشْقَـــى بِها الأَسْماعُ كَانَ لَبِيساَ
من دوحة الكلِمِ التي لم ينفكك *** وقفاً عليك رصينُها محبوسا
كالنجم إن سافرت كان موازياً *** وإذا حططتَ الرحل كان جليسا (عطية، 2003 ص 167)

أما عن جِدة معانيه وتفَرُّده بابتكارها فقد أَجمع الناس عليها، "فأكثر المولّدين معاني وتوليدا –فيما ذكره العلماء– أبو تمام" (القيرواني، 2000ص 244)، وهذا وإن كان هذا السبق في توليد المعاني يُعدُ تفوُّقاً وزيادة في شعرية أبي تمام إلا أنه قد أوقعه في أغاليط كثيرة أخذها عليه الآمدي (الآمدي، د ت ص157 وما بعدها) وهي كثيرة في شعره.

***

كانت هذه رؤية أبي تمام للشعر وفهمه لما يستوجبه الإبداع، ومع العلم أنه اتبع مذهبا جديدا في شعره مُتجاوزا بذلك من سبقه من الشعراء، وما يلاحظ أيضا أن أبا تمام كان يورد المقاطع التي تتضمن ملامح نقدية في أواخر قصائده، أي أنه كان في ختام قصائده يصف شعره ويُسَجلُ رؤيته للشعر.

في الأخير يمكننا القول: "إن أبا تمام عزف على وتريْ الإبداع والنقد معا وقد سد الثغرة التي وقف دون سدها النقاد فأرسى عيارا جديدا للشعر" (الهمامي، 2010) من خلال الشعر، فنقد الشعر بالشعر إبداعا من خلال ما كتبه من قصائد شعرية وحكما من خلال أحكامه النقدية التي ضمّنها في قصائده.

5. خاتمة:

يمكننا مما سبق القول بأن الشعراء العرب في العصر العباسي كانت لهم آراؤهم النقدية التي لا تخرج عن دائرة النقد الأدبي المتعارف عليها في ذلك العصر، وقد اتخذوا من الشعر وسيلة في ممارسة نقد الشعر، وفي الأخير يمكن حصر نتائج الورقات البحثية في ما يلي:

يمثل النقد عند الشعراء من أقدم النقود التي وصلتنا، ولما كان العصر العباسي وازدهرت الثقافة اختلف المشتغلون بالنص الشعري في أحقية الشعراء بنقد شعر غيرهم، فاتخذ أولئك المهتمون بنقد الشعر مواقف متباينة حول الأمر ومنهم من كان معتدلا في رأيه كالمرزوقي، لكن جُل الآراء تصبُ في أحقية الشاعر وجدارته لنقد شعر غيره.

الشعراء العرب حاولوا أن يصوغوا آراءهم النقدية في قوالب شعرية، أي أحكام نقدية منظومة، فنجد بعض النصوص الشعرية في تراثنا العربي القديم، حاول خلالها الشعراء العرب تقديم بعض الآراء والأحكام النقدية التي عَنَت لهم.

شكّلَ أبو تمام نموذجا متفردا ونبغ في الشعر والنقد، وبذلك أصبح أيقونة للنقد عند الشعراء لأنه كان مشغوفا بالشعر عالما بقديمه ومحدثه.

تجلت ظاهرة في قصائد أبي تمام وهي أنه يختم قصائده بنظرات نقدية حول الشعر والقصيدة وما ينبغي أن يكونا عليه من استعمال الوحشي والغاية التربوية...الخ.

كانت للشعراء آراؤهم النقدية الخاصة، وقد ضمّنوها في قوالب شعرية اتخذت قوالب القصائد من التخييل والقافية الواحدة...الخ

وهذه الدراسة لا تزعم تقديم معلومات نهائية وإحاطة شاملة بموضوع النقد لدى الشعراء، بل حسبنا إثارة أسئلة جديدة من قبيل ما هي الفوارق بين نقد الشعراء وشعرهم، وبين رؤيتهم الشعرية في قصائدهم ونقدهم...الخ.

6. قائمة المراجع:

1) ابن شهيد الأندلسي. (1996). *رسالة التوابع والزوابع*. بيروت: دار صادر.
2) أبو بكر الصولي. (2010). *ديوان أبي نواس برواية الصولي*. أبو ظبي: دار الكتب الوطنية.
3) أبو بكر محمد الباقلاني. (1971). *إعجاز القرآن*. مصر: دار المعارف.
4) أبو عثمان الجاحظ. (1998). *البيان والتبيين*. القاهرة: مكتبة الخانجي.
5) أبو منصور عبد الملك الثعالبي. (1983). *يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر*. بيروت: دار الكتب العلمية.
6) أبي على القالي. (1976). *الأمالي*. مصر: الهيئة المصرية للكتاب.
7) أحمد بن محمد المرزوقي. (2003). *شرح ديوان الحماسة لأبي تمام*. بيروت: دار الكتب العلمية.
8) الحسن بن بشر الآمدي. (د ت). *الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري*. د ب: دار المعارف.
9) الحسن بن رشيق القيرواني. (2000). *العمدة في صناعة الشعر ونقده*. القاهرة: مكتبة الخانجي.
10) الخطيب التبريزي. (2000). *شرح ديوان الحماسة لأبي تمام*. بيروت: دار الكتب العلمية.
11) الطاهر الهمامي. (2010). *الشعر على الشعر، بحث في الشعرية من منظور الشعراء على شعرهم إلى ق5*. إربد: عالم الكتب الحديث.

12) شاهين عطية. (2003). *شرح ديوان أبي تمام*. بيروت: دار الكتب العلمية.

13) عبد الحكيم راضي. (د ت). *دراسات في النقد العربي –التاريخ–المصطلح–المنهج–*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

14) عبد الله العضيبي. (2013). *النقد عند الشعراء حتى نهية القرن الرابع الهجري*. الرباط: دار الأمان.

15) محمد بن سلام الجمحي. (د ت). *طبقات فحول الشعراء*. جدة: دار المدني.

16) ياقوت الحموي، و عباس إحسان. (1993). *معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

17) يونس أحمد السامرائي. (1978). *شعر ابن المعتز دراسة وتحقيق*. العراق: وزارة الثقافة والفنون.